

الرفض في شعر عدنان الصائغ

أ.م.د. نعيم عموري

جامعة « شهيد چمران أهواز »

المقدمة:

تتصاعدُ عاطفة الشاعر تجاه أمور يراها في مجتمعه وعند ناسه ويتجاهلها الآخرون، وقد يكون الشاعر موزعا بين ثنائيتين في حياته؛ ثنائية الحياة والموت، ثنائية الحرية والاضطهاد، ولهذا يلجأ الشاعر إلى أسلوب خاص وطريقة معهودة لبيان آرائه ونشر أفكاره وأسلوبه هو أسلوب الرفض والتمرد على جميع أنواع الظلم والاضطهاد والتعسف والارهاب والعنصرية والعنجهية والطغيان، يتطرق الشاعر إلى ظلم الطغاة كما يتطرق إلى تحجر أصحاب الدين والمتاجرين بالدين وقائلي النفس المحرمة، والشاعر عبر هذه الزاوية نقلنا من عمق الداخل (ذاته) إلى عمق الخارج (مجتمعه)، مما يتيح لنا أن نرى ما نراه ممرا برؤيته ومحملا بوعيه، فهو يدخل التجربة طوعا أو كرها فيجد نفسه في موقع مسئولية الكشف. وبأخذنا الشاعر من عمق الخارج إلى عمق الذات، إحصائيا يأتي القبول في مرحلة تالية للرفض، فما يقبله الشاعر أقل بكثير مما يرفضه، خاصة عند الشعراء المحدثين ممن يعيشون عصرنا عصر المتغيرات، فالأمر قد يكون على خلاف ما كان الشعراء يتصورون، فالصورة اليوم انتقلت من الظلم الفردي إلى الظلم الاجتماعي وحتى ظلم دولي، وظغيان إمبرياليات عالمية على الشعوب المسلمة المسالمة المستضعفة، شاعرنا عدنان الصائغ من أولئك الشعراء الذين رفضوا الظلم والقهر الذي كان أيام نظام البعث في العراق وإلى يومنا هذا، رفضَ عدنان أنواع الاضطهاد وأشكاله المتنوعة مستخدما أساليب بيانية متعددة من استقهام إلى تعجب وتكرار و...هدف البحث دراسة آليات وأنواع الرفض في شعر الشاعر عدنان الصائغ وذلك بمنهج توصيفي-تحليلي طارحاً فيه الأسئلة الآتية:

- لماذا اتجه عدنان الصائغ إلى الرفض في أشعاره؟
- ما هي الأفكار التي بنى عدنان الصائغ أشعاره عليها؟
- ما هي الأساليب التي اتخذها الشاعر لبيان رفضه؟

■ فرضيات البحث:

تكمن الفرضيات في الأمور التالية:

- سبب اتجاه الشاعر إلى الرفض هو الظلم والطغيان والتعسف والعنصرية الموجودة في أيام النظام البائد والتسلط الاجنبي وهكذا الافكار المسمومة التي تروج من قبل بعض علماء الوطن والتي تفضي بقتل وتشريد الناس جعل الصائغ يتجه نحو الرفض في نصوصه الشعرية.
- أفكار متعددة بنى عليها عدنان أشعاره منها قضية الدين والتسامح والاخوة ونبذ الطائفية وهذا ما درسناه في البحث.

- اتخذ الشاعر أساليب عدّة لبيان رفضه وأهمها أسلوب الاستفهام والتعجب والتكرار.

■ خلفية البحث:

- هذا البحث بنوعه لم يتطرق إليه باحث من قبل وهناك أبحاث حول الرفض في شعر الشعراء منها:
- مقالة «آليات الرفض في القصيدة العربية الحديثة» لمصطفى الضبع، طبع هذا البحث في المؤتمر العلمي الخامس كلية دار العلوم، عام ٢٠٠٢م، وتطرق إلى تعريف الرفض.
 - ومقالة «تجليات الرفض في شعر فدوى طوقان» لفاتنة محمد حسين طبع في مجلة كلية الآداب جامعة الموصل عام ٢٠٠٧م.
 - ومقالة «أساليب الرفض في شعر ابن زيدون» لعبد اللطيف يوسف عيسى، طبع في مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية عام ٢٠١٠م.
 - ومقالة «الرفض السياسي في حكايات كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع» لباسم ناظم سليمان، مجلة كلية التربية / جامعة كركوك طبع في عام ٢٠١٢م.
 - ومقالة «الرفض في شعر أبي العلاء المعري» مجلة جامعة كربلاء العلمية عام ٢٠٠٦م.
 - ومقالة «آليات الرفض والتمرد في شعر أحمد مطر» لنضال ابراهيم ياسين، طبع في مجلة أبحاث البصرة.
 - ومقالة «الرفض في شعر الجواهري من أنماطه وتجلياته» للطائي والشبلي طبع في مجلة أهل البيت

العدد العاشر.

- ومقالة «قضايا العراق السياسية في مرآة شعر عدنان الصائغ» لراحلة محمودي و سيد محمدرضا ابن الرسول، طبع في مجلة دراسات الادب المعاصر، عام ١٣٩١هـ.ش.
- ومقالة «تجليات الغربة وظواهرها في أشعار "عدنان الصائغ" ديوانا «تكوينات» و «تأبط منفي» نموذجا، لعلي خضري ورسول بلاوي وآمنه أبگون طبع في مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها، عام ١٣٩٤هـ.ش.
- ومقالة «جماليات الأساليب البصرية في شعر عدنان الصائغ» لبلاوي وخضري وأبگون في مجلة دراسات في اللغوية العربية وآدابها عام ١٣٩٤هـ.ش.
- ومقالة «دراسة صدى المقاومة في شعر عدنان الصائغ» لحامد صدقي وسيد عدنان اشكوري وصغرى فلاحتي وصبرط جليليان، في مجلة إضاءات نقدية عام ١٣٩٤هـ.ش.
- لقد درس الباحثون في هذه الأبحاث الغربية والأساليب البصرية والمقاومة في شعر الصائغ ولم يدرسوا الرفض في شعره.

■ نظرة عابرة على حياة الشاعر:

ولد الشاعر "عدنان الصائغ" في مدينة الكوفة، في العراق، عام ١٩٥٥م في بيت صغير قريبا من نهر الفرات. بدأ الكتابة في سن مبكرة وأول قصيدة كتبها في العاشرة من عمره عن والده الذي كان يرقد في مستشفى الكوفة مصاباً بمرض السل والسكري. وقد بكت والدته حين وقعت القصيدة بين يديها صدفة، وقد كانت تجربته الأولى في حياته الشعرية. عمل الصائغ في الصحف والمجلات العراقية والعربية في أنحاء العالم. وقد غادر الوطن صيف ١٩٩٣ نتيجة للمضايقات الفكرية والسياسية التي تعرض لها والفقر الذي أخذ فرصة العلاج من والده. وتقل في مدن عديدة، منها عمان وبيروت، حتى وصل إلى السويد خريف ١٩٩٦ م، وأقام فيها لسنوات عديدة ليستقر بعدها في لندن منذ منتصف ٢٠٠٤م. كتب الصائغ عن وطنه وأوضاعه الخائفة ورسم ما فيه من الحرمان والمضايقات وشوقه إليه في دواوين عديدة، منها: تأبط منفي، وتكوينات، وتحت سماء غريبة، ونشيد أوروك، وأغنيات على جسر الكوفة، والعصافير لا تحب الرصاص،

وانتظرتني تحت نصب الحرية، ومرايا لشعرها الطويل، وسماء في خوذة، وغيمة الصمغ. يعيش حالياً في لندن مغترباً (بلاوي وآخرون، ٢٠١٥م: ٣٠)

■ الرفض لغة واصطلاحاً:

الرفض لغة: «ترك الشيء ومجانبته» (ابن منظور، ١٩٥٥م: مادة: ر.ف.ض). قال ابن سينا: «الفرقان مبتدئ من تفريق وترك ورفض» (ابن سينا، د.ت: ٢٠٦). وقال ابن فارس: «رفضني فرفضته، رفضت الشيء أرفضه وأرفضه رفضاً ورفضاً: تركته وفرقته» (ابن فارس، ١٩٧٩م: مادة: ر.ف.ض).

الرفض اصطلاحاً: لا يخالف المعنى الاصطلاحي المعنى اللغوي؛ لأنه يشير إلى: «مقاومة الإرادة لدافع معين أو رفضها التصديق بالأمر أو تأييده والانقياد له.. وقوله (لا) عند رفضه أدل على قوة إرادته من قول (نعم) شريطة أن يكون رفضه ناشئاً عن دوافع غريزية عمياء» (صليبيبا، ١٩٧٩م: ١/٦١٨). أي: أن الرفض يجب أن يكون ذا مؤهلات كقوة الإرادة أو ضعفها أو فقدانها. وأما في علم النفس فيستعمل مصطلح الرفض بمعنى نوعي، فهو أسلوب وقائي يتخذ شكل رفض اعتراف الشخص بواقعية إدراك ذي تأثير صدمي، و يرى فرويد «أن الرفض عملية دفاعية أصيلة تجاه الواقع الخارجي من خلال إنشطار الأنا في عملية دفاعية» (بلانش، ١٩٨٢م: ٢٦٢). والرفض بهذا المعنى ليس عملاً منكرًا ولا مستهجنًا، لأن أعظم الأعمال و أعظم السير تكونت من نطفة الرفض ومن طاقاته (قطوس، ١٩٩٨م: ١٦٣). وأشار آخر إلى مفهوم اجتماعي فهو موقف يجابه فرداً أو جماعة موجودة أو سابقة لم يعد أو لم يعودوا قابلين استمرارها وقد يواجهونها بما يمكن أن يعوضها وذكر آخرون أنه موقف موضوعي، يؤدي إليه الوعي بالضياع في واقع يكبل الفرد أخلاقياً ومادياً، فالوعي مرحلة التقويم والتساهل عن القيم الموروثة (الحناشي، ١٩٨٤م: ٤٩-٥٠) ومهما يكن فإن الرفض تمرّد على الواقع أو صرخة غير مباشرة؛ لتغيير واقع قد يكون سياسياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو تأييد موقف بعينه.

■ آليات الرفض عند الشاعر:

يقف الشاعر الذي يوصف بحدة انفعاله وحساسيته للأمور أمام تجربته الشعرية؛ لينفذ إلى دقائق الأمور ليضيف بعداً جديداً للمعرفة والإدراك بعد أن اتقد وجدانه فيهمس إلى ظلال الواقع في حدود معرفته بعد

تراجع أمنيته لاصطدامها برؤية حياتية تخالف رؤيتهن فينطلق معبرا عن الضيق والاعتراب الشعوري بتفاهة ما يرى؛ فتتولد لديه حالة الرفض (عيسى، ٢٠١٠م: ٢).

في الواقع إن تنامي وعي الإنسان، وإدراكه لما يحيط به من ظروف وملابسات يضعه في مواجهة دائمة مع الداخل والخارج على حدّ سواء، ولا يمكن تحقيق المصالحة بين الإثنين إلا من خلال المرور ببوابة الرفض أولاً، بوصفها المرشحة التي تترشح عبرها معظم القناعات والاختيارات، لذلك يُعدّ القبول مرحلة تالية للرفض، وإذا كان الإنسان بطبيعته ميّلاً أكثر للرفض منه للقبول، فإنّ الشاعر أولى بذلك فهو رافض بالضرورة، ورفضه يهدف بالدرجة الأولى إلى تعرية الواقع، وكشف عوامل القهر والديكتاتورية فيه، ومواجهة جوانب الضعف والاختلال بغية إصلاحها و تقويمها، وهو في ذلك كله يصدر عن تجربته الخاصة مستلهما تجربة الجماعة (محمد حسين، ٢٠١١م: ١٩٠).

رفض الشعراء في سالف الأيام ما ينتابهم من شعور غير مؤاتي لهم ولمن يُجدونه من قوم وقبيلة ووطن، روح الرفض لا تنفك عن الأديب وهذه هي رسالته الفنية ومن هذا المنطلق يُسمّى الدب الذي ينتمي نليه بالأدب الملتزم، ظاهرة الرفض تتفاوت من شاعر لآخر وفقاً لأسلوبه ومنهجه الفكري والفني ومن زمن إلى زمن ومن بيئة إلى بيئة، ظاهرة الرفض حالة نفسية تختلف بطبيعتها عن حالة الاعتراب أو الهجاء وذلك بما يكتنزه الرفض من طاقة تعبيرية لها القدرة على تحويل المعطيات السلبية إلى معطيات إيجابية تتشكل عبر منجزات وإجراءات فنية وإبداعية وفكرية، تسهم بشكل دو بآخر في رقد تيار التغيير على أرض الواقع وهذا ما يرنو إليه الأديب.

الرفض في الشعر يعني معارضة النظام و أطر الحياة ومظاهرها، وأسباب هذه الظاهرة كثيرة منها ما هو ذاتي خاص بالشاعر، ومنها ما هو موضوعي أو خارجي يلقي بظلاله على الشاعر كغيره من أبناء مجتمعه، السبب الموضوعي يتعلّق بالظروف الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية والبيئية (الهيّتي، ١٩٨٦م: ٦٢). يرتبط مفهوم الرفض بمفهومين آخرين متلازمين، الأول هو التمرد وهو حركة فوضوية تصدر عن تجربة الفرد وتؤدي إلى الفكرة، والثاني هو الثورة وهي حركة منظمة تبدأ من الفكرة وتحاول أن تدخلها في التجربة التاريخية وأن تُشكل الفعل بما يتفق وهذه الفكرة، حتى تخلق عالماً جديداً

تضعه في إطاره التاريخي (مكاوي، ١٩٦٤م: ١٢٣).

ولمّا كان الشاعر صوتاً معبراً عن أبناء مجتمعه ويشعر بما لا يشعر به غيره، فإن أنضج مراحل التمرد هي تلك التي يسعى فيها إلى العمل في مجتمعه ليحقق نفسه تحقيقاً أفضل في إطار الجماعة، فإذا ما تاق - قولاً وفعلاً - إلى تغيير حياة الجماعة نحو الأفضل بنشدانه المثال، فقد كان هذا التمرد مصلحاً لا يتردد لحظة في بذل أعلى التضحيات وبذلك يكون محرضاً لأبناء مجتمعه للقيام بالثورة، غير متناسين إن المسألة تخضع لعوامل منطقية تتعلق بالنتيئة والإستعداد وقوة الإرادة عند الفرد والجماعة (المساوي، ١٩٩٤م: ٢٤٠). إلا أنّ ثمة مشكلة تبرز إلى الواجهة وهي أنّ «فكرة إلّتزام الأديب بقضايا مجتمعه ومشكلاته لم تلقَ التسليم من كل من يعملون في هذا الحقل، فهناك من يعادون هذه الفكرة ظناً منهم أنّ إلّتزام الأديب بقضايا مجتمعه يعني بالضرورة اشتغاله بالمشكلات اليومية المعاشية. وأن هذا من شأنه أن يحط من جلال الأدب وأن يهبط بالفن من عليائه» (إسماعيل، ١٩٧٤م: ١٤).

وإذا ما أراد الشاعر أن يصل بفنه إلى مرحلة ناضجة من مراحل الرفض فعليه أن يتخلص من أسر العالم الموضوعي ويبني خطابه الرفض لغويًا بحقيق يقوم ب(أدلجة) خطابه الفني، بمعنى أنب خطابه يرتكز على وعي الواقع.. ولا شك أنّ نظرة الشاعر للحياة تفترض الاندماج فيها وتفهم أبعادها أولاً ثم يكون الموقف الذي يتبناه منها، غير متناسين أنّ لتجربة الشاعر ولثقافته ولظروف حياته و حياة الجماعة التي يعيش بينها دور كبير في بلورة الموقف الذي ينتهي إليه (الطائي، و حربي نعيم محمد الشلبي، د.ت: ١٥٦).

في الحقيقة لم يولِ النقد القديم أهمية كبيرة للدور الاجتماعي للشعر، غير أنّ هذا لا يعني انفصال الشعر القديم عن حياة الناس وظروف مجتمعاتهم سواء علم الشعراء بذلك أم لم يعلموا. (الشلبي، ٢٠٠٦م: ١٧٨)

▪ الرفض في شعر الصائغ:

عدنان شاعر الرفض والتمرد والصرخة المدوية على عرش الطغاة؛ طغاة العراق، طغاة العرب، طغاة العالم الذين ظلموا الإنسانية جمعاء، عدنان رفض الظلم والقهر والتعسف، والملاحظ في أشعاره يرى الرفض بعناوين أشعاره وبعناوين دواوينه كتأبط منفي وتحت سماء غريبة، والعصافير لا تحب الرصاص، وما نلاحظه في عناوين أشعاره كشيزوفيرنيا، رقعة وطن، وإتهام، (..!!)، و لا، وأشباح، وخيبات، و لو، و

حصار و... أما حول عنوان ديوانه فنلاحظ الرفض مشهوداً فيه إذ يتجاوز عنوان الديوان كونه تركيباً لغوياً، إلى كونه بنيةً دالةً على الذات، تمثل إزاحةً للاسم الحقيقي لصاحب الديوان، وتحلُّ محلّه؛ ليصبح هذا اللقبُ علامةً للشاعر، تستدعي إلى الذهن واحداً من الشعراء العرب القدماء الصعاليك من فئة المتمردين هو: ثابتُ بن جابر الفهمي، الذي أراح لقبه (تأبط شراً) اسمه؛ فصار الكثيرون لا يعرفون إلا اللقب، وبنيةً عنوان الديوان (تأبط منفي) تشهدُ تماساً مع الصعلوك القديم في ظاهر التركيب من ناحية، وفي تكرار الفعل (تأبط) من ناحية أخرى. هذا الفعل الذي يدلُّ على المصاحبة والالتصاق، وليس بعيداً في تأسيس منته اللغوي عن تأبط شراً، حيث يشير إلى رفض الواقع المرير، نلاحظ في أشعار الصائغ الكفاح الجدي ضدّ الخوف، الخوف الذي يسير على أمةٍ بأكملها والشاعر هو الذي يكسر حاجز الخوف وينطق حيث تخرس الألسنة، ففي ديوانه تأبط منفي وفي شعره المسمّى «تأويل» يأتي الصائغ في منفاه لينفسَ عن نفسه -في شئ من الانكسار- متذكراً حاله وموقف الآخرين منه، وعدم قدرته على مواجهتهم، ومما يذكر أن الدواوين التي صدرت للصائغ في المنفى صدرت؛ «لتنقّس عن ذاكرته المكتظة بمشاهد الدماء المشبعة برائحة الحزن الأسود» (بهجات، ٢٠١٠م: ٢٤-٢٥)، يقول الصائغ في النص:

يُملونني سطوراً/ ويؤبونني فصولاً / ثم يفهرسونني/ ويطبعونني كاملاً / ويؤزعونني على المكتبات / ويشتمونني في الجرائد / وأنا / لم / أفتح / فمي / بعد. (الصائغ، ٢٠٠٦م: ٦).

الصائغ يعاني من أزمت قهرت مجتمعه المظلوم. رفضه للواقع بين ظاهر حيث يحكي آلام الإنسان الفاقد للإرادة أو المسلوب الإرادة حتى لم يصدر من هذا الإنسان أي ردّ فعل تجاه الحدث إذ تعيش الذات مرحلةً متقدمة من الاستكانة تحولت فيها للشئيئية، فمع تقديرنا لقيمة الشعر إلا أنه يُداول من خلال شئ (ديوان/ ويطبعونني كاملاً)، قد يعيب به الإنسان -بخاصة الجاهل- متى أراد. والديوان بحكم كونه ثمرة إحساس وعاطفة وفكر فهو معنوي، وبحكم تداوله من خلال شئ ملموس فهو مادي، وكأنه يعاني انشطاراً بين المادي والمعنوي يتماهى مع انشطار الذات في النص. الشاعر يرفض الخنوع والذل يرفض إملاءه/تبويبه/فهرسته/توزيعه/شتمه/ مع أنه لم يفتح فمه للدفاع عن نفسه، فكأنه يريد أن يصرخ بل صرخ بوجه العالم رفضه للأمر الواقع. بالعراق. وفي ديوانه، "نشيد أوروك" تفوح منه مشاعر الخوف والرعب إذ

ينقل حكايات شخص اسمه "عبود". وهذا رمز للذين عُذبوا بأبشع صور التعذيب:
فوق طاولة للمحقق، ممسوحة / و هو يسألني عنك... وكان لعاب السباب/يسيل / على شفثيه /
فيمسح في كمه المتآكل شاربته الكث، متسخاً مثل الخنازير/أين أخفيت عبود؟/في الريح... /أيها الكلب،
هل تتجرأ تسخر منّا؟. (الصائغ، ١٩٩٦ م: ٧٠-٧١).

هذه صورة من أبشع صور الظلم الذي واجهه الشعب العراقي الدعزل أمام طغيان الحاكم المستبد، فلا الشاعر يقف مكتوف الأيدي ولا شاعريته لا تنفجر، بل إنه بركان ب(السؤال) وكما نعلم أن السؤال والاستفهام من صيغ الرفض وخاصة علامة الاستفهام و علامة الإبهام(..) هذا علاوة على رمزية عبود و شتمه المباشر (الكلب) أما في كلمة الخنازير فهناك مقاومة مدعومة برفض الواقع والتمرد عليه.
في رفضه يولي الصائغ الصوت اهتماماً خاصاً، ولعله العامل الأبرز الذي يعزز استقلالية الشكل، ويشد من أواصر القصيدة لجعلها جسماً متين الأطراف. قد يتلاعب بالمفردات المتشابهة التكوين، جاعلاً بعضها يقيم تناسلاً مع بعضها الآخر، أو اشتقاقاً، أو ضرباً من ضروب المجازفة في الجملة الشعرية. يترك الشاعر بقايا المفردات كضرورة فنية، أو كحاجة لدعم تصورات الشعرية بمشروع حدثي لا يتخلى عن التفعيله بناتا بقدر ما يمزجها بتصورات موسيقية طنانة أكثر تحرراً من القانون التفعيلي نفسه وأقل التزاماً للصيورة الإيجابية في بنية القصيدة:

..... / إلى أين تنأى / ي / أي كل يوم م م م / ستختار منفي جديدا دا دا / لتتأى بعيدا دا دا دا: /
إلى أول القطب / ب ب ب / - أعني: إلى آخر الصحب - / ب ب ب / أو آخر الكتب
(الصائغ، ٢٠٠٤م: ١٥٤).

هنا، قد نكون أمام ارتباك شعري مقصود أو تأنأة من شأنها أن تعوق السيرورة الشكلية للنص، لكن المدقق في النص الشعري يراى بأى عينه الصرخة المدوية الصائغية التي جاءت من أعماق ضيمه وتعاسة أمته، صراخه ليس هتافاً بل صراخ بمعنى الكلمة لأنه عاش التجربة المرة في العراق ومازال العراق يئن إلى يومنا هذا. فهذه التقطيعات الحروفية هي رمز للصرخة الراضة للواقع المرير. ثم يستمر في تساؤلات عدة رافضاً الواقع المزري الموجود:

ماذا يحدث/ في شكل العالم؟!/ماذا يحدثُ لو!..../بدلاً من أن تزرعَ في صدري طلقةً/تزرع.. /في قلبي ..
/وردة...؟!.. (الصائغ، ٢٠٠٤م: ٥٣١).

يظهر الشاعر في هذا المقطع طالباً للمحبة والرحمة فيأتي باستفهام إنكاري، ويتبعه ب" لو" الامتناعية وعلامة الانفعال لعدم وجود أحد يلبي له ما يطلبه. ثم يطلب من المخاطب أن يزرع في قلبه وردة من الرحمة والعطوفة بدل الحقد والطلقات! يأتي الشاعر بأصل الكلام وهو طلب المحبة بشكل متفتت، فيفرد "تزرع" في مصراع كامل ثم "في قلبي" وثم " وردة" تتبعها ثلاث نقاط وعلامتي استفهام وتعجب ليفهم القارئ مدى بعد آماله وكثرة آلامه. وهذه الآلام هي في الواقع رفض للواقع المرير (بلاوي وآخرون، ٢٠١٥م: ٣٣). وفي نص شعري آخر أسماه "العراق" واعتمد الشاعر المفردات وتسطيرها ورصفها متدرجة لإيجاد تكوين هندسي يُنتج منه حاصل مثنى ألا وهو العراق، رافضاً في كل مفردة موحية أشكال التعسف الموجود، ونلاحظ رفضه في شعره إذ يقول:

الأرض؛ كورها الرب، بين يديه ووزعَ فيها

اللغات

النبات

الطغاة

الغزاة

الحروب

الطيوب

الخطوط

الحظوظ

اللقاء...

والفراق

وقسمَ فيها:

السواد

العباد

البلاد

الحواس

البلايا

الوصايا

الجناس

الطباق

اعتصرت

روحة

غصة

فكان

العراق.

(الصائغ، ٢٠٠٦م: ٢٦).

اعتمد شاعرنا في رفضه هذا الشكل الهندسي لأشعاره وحتى اعتمد الفاصلة الموجودة وأيضاً اعتمد النقاط (...). وتركها للمتلقي أن يعيها، فكما نلاحظ أن العراق في هذا التكوين الصائغي - وهو حقيقي - دنة لا ينتمي لجماعة دون أخرى بل مكون من جميع الاطياف بغض النظر عن الديانة واللغة؛ العراق مكون من كلدانيين وعاشوريين وعرب و تركمان وكرد وطوائف دينية متعددة فكما يصرح عدنان ووزعها الرب أي: وزع هذه الاطياف المتعددة ولم يحصرها في حزب واحد حزب البعث كان أو غيره؛ العراق لا يقبل الاحتكار ولا يتحمل الاحتكار بل يقبل التعددية كما آمن بها منذ عهد سحيق وكما علّم العراق الأبى للبشرية جمعاءف الشاعر في رفضه ينطلق من خلفية ثقافية ودينية علّمته الرفض والإباء وبهذا التركيب الهندسي الرائع صور العراق ككائن موحد. هذا التكوين يُذكرني بنص شعر «صناعة وطن» للشاعر المغترب العراقي "منعم الفقير"

الذي كَوّن العراق رافضاً اضطهاد النظام البائد إذ يقول:
صناعة وطن/مرة أخذتُ/قليلاً من التراب/قليلاً من الأعشاب/قليلاً من المياه/وكثيراً من الأسلاك/وصنعتُ
منها وطناً/فهل أسمىه/"عراق"؟... (الضبع، ٢٠٠٢م: ٢٠).

تكوين العراق عند منعم يمتزج بنوع من السخرية المرة التراب/الاعشاب/المياه هذه للحياة و"الأسلاك" للأسر
والموت ففيها مفارقة رافضة كما نشاهد في التركيب الهندسي عند الصائغ. وفي نص شعري آخر "هم" فيه
إشارة إلى الطغاة وفيه رفض لهم وهو في غربته:

هُم/ما الذي أصنع الآن؟/هُم حاصروني بلاداً وأفقاً/وسدوا بوجه القصيدة كلّ المنافذ/أجلس في حانة
لأقول: بلادي/وأشربُ نخب الغياب/دمعةً أو كتاباً/...../لكنائي../أراهم وراء الجدار/ وقد دارتِ الخمرُ
فيهم؛ وداروا/يثيرون بالردح حولي الغبار/فإن قمتُ للرقص...../طارَ/رررر ر/ر/و.../طاروا ۱۱۱۱/۱/۱/۱
ا. (الصائغ، ٢٠٠٦م: ٢٦)

يُوظف الشاعر أسلوب الاستفهام المُحاط بالحيرة والخوف ولا ننسى أنه في غربة بعيد عن العراق وعن
طغاته لكن الخوف يسايره أيُّ خوف هذا؟ ليس هذا خوفاً وإنما وصف حالة الخوف ومكافحتها أي رفضها،
فشاعرنا في حالة رفض للخوف الذي صُبَّ على رؤوس الأحرار من قبل الطغاة. حالة الحصار/السدّ/الغياب؛
ثم الرقص و الطيران هذه علائم عدم الاستقرار وعدم الطمئينة فذا ديدن الأدب الراض ألا يستقر وألا
يتوقف أمام الخوف المسيطر، وهذا نوع من الرفض الاجتماعي وأنه يُشير إلى عدم استسلام الراض لقيم
المجتمع السائدة أو لبعضها، وهو بالتالي يرفض أن يتنازل عن نفسه. (محمد حسين، ٢٠١١م: ١٨٤) يقول
إريك فروم: «إنَّ الفرد يكفَّ عن أن يُصبح نفسه، إنَّه يعتنق تماماً نوع الشخصية المقدمة له من النماذج
الحضارية، ولهذا إنَّه يصبح تماماً شأن الآخرين، وكما يتوقعون منه أن يكون..وعلى أية حال فإنَّ الثمن
الذي يدفعه غالٍ..إنَّه فقدان نفسه» (فروم، ١٩٧٢م: ١٥٠) في الحقيقة إنَّ من أهمِّ قضايا الشعر صنع السؤال
والتحريض عليه لتكريس حالة الإدهاش عند الإنسان (الأمانة، ٢٠٠٨م: ٢١) وهكذا الشاعر عدنان الصائغ
يرفض الواقع المرير، ففي ديوانه "تأبط منفي" تارة أخرى يأتي بنص شعري يُسميه "العراق":
العراق/العراق الذي يبتعدُ/كلما اتسعتُ في المنافي خطاهُ/والعراقُ الذي يتندُّ/كلما انفتحتُ نصفُ

نافذة.. /قلت: آه/والعراقُ الذي يرتعد/كلما مرَّ ظلُّ/تخيلتُ فوهةً تترصدني،/أو متاهُ/والعراقُ الذي
نفتقدُ/نصفُ تاريخه أغانٍ وكحلُّ.. /ونصفُ طغاة. (الصائغ، ٢٠٠٦م: ١٠)

في هذا النص الشعري والذي يتحدث عن العراق، العراق الذي يتند/يرتعد/نفتقد/نصفه أغان/نصف طغاة؛ هذا من أجمل أنواع الرفض إذ يلاحظ في النص الشعري الخوف المطبق على العراق بانفتاح نصف نافذة يتنفس الصعداء(آه) ثم في نهاية النص يُشير إلى أن نصف البلد طغاة، هذا لا يعني أن الناس العاديين طغاة بل نفس المظلوم المقهور لو لم ينتفض ضد الظلم سيصبح ظالم أو طاغي لأنه خنع للظلم وقبل الاستكانة. هذا ولقد كان الوطن المحرك الأساسي للشعراء الراضين وعندما تكون القضية حول الوطن يختفي كل صوت إلا صوت الشاعر. وفي نص شعري آخر يقول:

و.. سؤال/ يا سيدي الفقيه!/عندي سؤالٌ وجيهٌ!!/إن كان ربُّ الشأنِ،/لم يعدل موازينها / فما / الذي /
يفعلُ / مَنْ / يليه!!؟. (الصائغ، ٢٠٠٤م: ٥٣٣)

السؤال طريق الدهشة، طريق التفكير ووسيلة الشاعر لحث الناس عما هم غافلون عنه، وإن ارتباط الشاعر بقضيته ومكابدات الغربة وأحلام العودة كلها تقف وراء الاستفهام، فالشاعر يلوذ به معبرا عن رفضه واستنكاره وتعجبه، فالسؤال المحدد والمليء بالسخرية المرة هو إن كان المسؤول لم يعدل موازين الأمور فما الذي يفعل من يليه؟؛ الشاعر سائلاً متعجباً رافضاً لهذا الواقع المر ثم خصّ الفقيه بالسؤال دون غيره لتشرذم بعض المندسين بثياب الدين على الدين والدنيا وعلى أمور الناس، الشاعر يرفض هذا الواقع وإنه لا يبحث عن أجوبة بل يكفيه أن يحرك الوعي للتفكير بالأسئلة، فهو يسدل ليستنكر الواقع، ويسأل ليسخر من الواقع، ويسأل لينفي ويتحدى(ياسين، د.ت: ١٢) وفي نص شعري رافض بإسم " لماذا أنت صامت..؟! " يرفض عدنان الصائغ وبقوة الواقع المتدهور الموجود:

ب/ ا / س / م / ك؛ / يتفاوضُ الانبياءُ والرسُلُ / وأنتَ صامتٌ! / باسمك؛ يحكمُ الخلفاءُ والملوكُ والولاةُ
والحكامُ / وأنتَ صامتٌ! / باسمك؛ تُفصلُ الشرائعُ والدساتيرُ والأحكامُ / وأنتَ صامتٌ! / باسمك؛ تُكتبُ
الألواحُ والأسفارُ والسورُ / وأنتَ صامتٌ! / باسمك؛ تُصدحُ المزاميرُ والتراتيلُ والأدعيةُ / وأنتَ صامتٌ! /
باسمك؛ تُشادُ المعابدُ والكنائسُ والجوامعُ / وأنتَ صامتٌ! / باسمك؛ تُشعلُ الشموعُ والبحورُ / وأنتَ

صامت! / باسمك؛ تُقدِّم الأضاحي والندور / وأنت صامت! / باسمك؛ تُجبي الضرائب / وأنت صامت! /
 باسمك؛ تُخاض الحروب / وأنت صامت! / باسمك؛ تتصارع الملل والنحل والطوائف / وأنت صامت! /
 باسمك؛ يفسرون / ويفتون / أو يكفرون / ويفخخون.. / أو يلطمون / وأنت صامت! / باسمك؛ يقسم
 الأدعياء / وأنت صامت! .. / باسمك؛ يحرم الغناء والخمر واللحوم / وأنت صامت! / وتحجب النساء،
 وترجم / وأنت صامت! / باسمك؛ توزع الجنائن والهور العين والولدان المخلدون / وأنت صامت! / ..
 وتسعر جهنم، وسجيل، / ويسقى الزقوم / وأنت صامت! / صامت / صام.. / صا.. / صد..
 (الصائغ، ٢٠٠٤م: ٥٠٣)

من أهم أساليب الرفض ظاهرة الاستفهام والتكرار وقد بدأ هذا النص الشعري الرائع بكليهما "ماذا أنت صامت...؟! " وكرر ٢٣ مرة عبارة "وأنت صامت" والنبرة الصوتية المتعالية من النص الشعري هي صراخ ونحيب وطلب ودعاء وهروب إلى الله من شرور خلقه ورفض لواقعهم المرير، رفض لطغيانهم؛ يتساءل الشاعر بإسم الله الناس تظلم وتقتل و... والله صامت؟! ثم التكرار ليس مجرد تكرار للفظ في سياق شعري، بل لما يتركه من أثر إنفعالي في نفس المتلقي، وقبل ذلك وسيلة يتخذها الشاعر للتخفيف من حدة الصراع والارهاصات التي يواجهها في حياته سواء أكانت داخلية أم خارجية، ومثل هذا الجانب لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة التكرار، داخل النص الشعري الذي ورد فيه، فكل تكرار يحمل في ثناياه دلالات نفسية وانفعالية مختلفة تفرضها طبيعة السياق الشعري. وتتشكل ظاهرة التكرار في الشعر العربي بدشكال مختلفة متنوعة فهي تبدأ من الحرف و تمتد إلى الكلمة وإلى العبارة وإلى بيت الشعر، وكل شكل من هذه الأشكال يعمل على إبراز جانب تأثيري خاص للتكرار، كما أن الجانب الإيقاعي في الشعر قائم على التكرار، فالإيقاع ما هو إلا أصوات مكررة، وهذه الأصوات المكررة تثير في النفس انفعالا معيناً، (ياسين، د.ت: ٢١) يُشكل التكرار حضوراً واسعاً في شعر الصائغ في نصه الشعري هذا، وقد أدمج التكرار والاستفهام التعجب أدوات لبيان رفضه للجور والظلم الذي يواجهه الشعب العراقي أو البشرية المستضعفة جمعاء. وفي نص شعري آخر أسماه "(...)" وهذه النقاط تعني الكثير واللاعنوانية؛ تعني التمرد على العنوان في المرحلة الأولى وفي المرحلة التالية تعني الرفض لما يريد ذكره في نصه الشعري إذ يقول:

يعبرُ موكبُ الدكتاتور/فتصطكُ أسنانُ الشوارعِ من الخوفِ/إذا كانتْ هذه وردةً، فما شكْلُ السوطِ/إذا كانَ هذا وطنً، فما شكْلُ الزنزانةِ/منذُ سنينٍ لمْ أبلعْ ربيقي/لأُتأكدَ إنَّ ما أُشْرِبُهُ ليسَ وحولاً/هم يصفعونَ أوطاننا على قفاها ونحن نتفرّجُ/هم يدلقونَ الوحولَ على ثيابنا ونحن نتفرّجُ/هم يسحبوننا من شواريبنا إلى المظاهراتِ أو المقاصِلِ ونحن نتفرّجُ/انصبوا المدافعَ هم يتقدمونَ / انصبوا المكائدَ هم يتقهقرونَ/ انصبوا المشانقَ هم يغنونَ/لجامناً أبيضً من اللعابِ/ونحن نمضغُ الأحلامَ. (الصائغ، ٢٠٠٤م: ٥٠٩).

في رفضه هذا بيان واضح للرفض وتبيان صريح للظلم يتمثل بالدكتاتور/صك الأسنان / الخوف / السوط / الزنزانة / الصفع / السحب / المكائد / المشانق. ونلاحظ أيضاً التكرار والتقابل بين "هم" وبين "نحن" وفيها رفض صريح للواقع المرير ألا وهو التفرج، نحن نتفرج "هم يصفعون أوطاننا على قفاها ونحن نتفرج...". فيها من دلالة الرفض على الواقع المرير ظلم وقتل وتجويع ونحن نتفرج الشاعر أراد رفض ومحاربة هذا الفكر، فكر اليأس والقنوط وبهذا يستنهض الهمم للكفاح ومحاربة الدكتاتور، أو الدكتاتورية المهيمنة على الشعب. وهناك هوة شاسعة بين الناس وبين الحاكم وهذه الهوة والانسراح يسبب الظلم والاستبداد كما ذهب قباجة»عندما يتصف الأُمراء والحكام والوزراء بالقسوة والظلم...تزداد الهوة اتساعاً بين الناس وحكامهم فيقد الناس ثقتهم بالحكام، ويعلنون سخطهم العنيف على سياسة الدولة وبغضهم لرجالها» (قباجة، ٢٠٠٨م: ٢٣-٢٤). فهذا حال عدنان الصائغ الساخط من الوضع الموجود والرافض له. وفي نص شعري رائع أسماء "الدين" مليئاً بالرفض للواقع المرّ الموجود في العراق حالياً حول قضايا شائكة، قضايا الأحزاب والقوميات والأعراف والديانات و.. هذه القضايا يئن منها العراق منذ زمن وإلى يومنا هذا:

دين/ما دمنا - بالفطرة - أورتنا الدين/ما ذنبي أن أولد سنياً أو شيعياً.. مندائياً، ناموسياً، فريسياً، صدوقياً، كاثولوكياً، بروتستانتياً، أرثوذكسياً، بوذياً، سيخياً، مارونياً، يزيدياً وبهائياً، وزرادشتياً، أو تاوياً.. والخ من ذكرٍ وتلاوينٍ/أو../وثنيين / ما ذنبي أحملُ أوزاراً لمْ اخترها /وحروراً لمْ أشعلها/ ما ذنبي أذفعُ فاتورةَ تاريخٍ لمْ أصنعهُ /وهومومَ بلادٍ لا أملكُ فيها موطيءَ قبرٍ أو قدمينَ /ما ذنبي إن كان اسمي مايكلَ أو زيداً أو عدناناً أو عمراً أو عبدحسينَ. / فأنا لمْ أختَر اسمي، أهلي، شكلي، جنسي، عرقي، ديني، لغتي، وطني، لونَ العينينَ /ربي ما اختار وما كورني من روحٍ، أو طينٍ /فحاسبُ ربي.. يا رجلَ الدين.

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ٤٤٧).

في هذا النص الشعري هجوم شرس من عدنان على الوضع المتزدي، هذا الوضع الذي يتحكم فيه السياسي ورجل الدين الجاهل المتجاهل العنصري الدنيء الذي يسبب بقتل الشعب ويدعو للقتل و التكفير، الشاعر أراد الحرية لكافة أطياف الشعب من جميع الديانات والقوميات والأعراق، يبدأ الشاعر نصه بقضية مسلمة وهي الفطرة: بالفطرة أورثنا الدين وكل شيء حتى أسمائنا من أهلنا فليس الذنب ذنبي بأنني شيعي وذاك سني، في هذا النص نوع من التجريح للمتأمرين على البشرية كافة، ويهجم الشاعر على السياسيين عرب وعالميين مشعلي الحروب ومخربي الديار الآمنة وقائلي النفس المحرمة "وحروباً لم أشعلها" «انتقد عدنان في شعره الإرهاب، والقمع والاستبداد والوحشة، ونوه بالفقر، والخلاف الطبقي وتبديد ثروة النفط في سياسات فاشلة لم تخدم البلاد بل قادت نحو الدمار، وحمل بلا هوادة على سياسة التوسع والنصب والاحتلال...» (صدقي وآخرون، ٢٠١٥م: ٥٩) في نصه هذا رفض للواقع العراقي وللواقع المر في العالم ككل.

■ نتائج البحث:

توصل الباحث الى النتائج الآتية:

- رفض عدنان الصائغ في شعره الواقع المر الأليم في وطنه العراق أيام كان فيه ولما اغترب لم ينس شاعرنا آلام شعبه وآماله فضاغف في انتاج شعري الرفضي والمتمرد على الواقع المزري المر.
- استخدم الصائغ في نصه الشعري الأسلوب الاستفهامي والأسلوب التعجبي وهكذا أسلوب التكرار لترسيخ فكرة الرفض.
- جاء الشاعر بنصوص تحكي عن قضية مسلمة في شعره ليهيء الأفكار العامة وهذا كثير ثم ينطرق لسرد أسئلة نارية معلنا رفضه كما في نصه "دين/ما دمننا - بالفطرة - أورثنا الدين/ما ذنبي أن أولد سنياً أو شيعياً.." ثم كما يلاحظ يسرد الشاعر الأسئلة وهي محملة بسخرية لاذعة للواقع المر.
- في أشعاره دفاع عن أطياف الشعب العراقي والعربي المظلوم والمضطهد والذي لا حول له ولا قوة وهذا جلي في نصوصه الشعرية.
- كثيرا ما عبر الشاعر عن خلجات نفسه وعن خوفه وشعوره بالألم؛ الخوف باد في شعره وهو مغترب

وليس في العراق، نلاحظ سبب هذا الخوف يكمن في الأعمال الشنيعة التي كانت تُصَبّ على رؤوس العراقيين فالشاعر أراد أن يرفض هذا الشعور أدراد أن يحارب هذا المنهج أراد أن يعلن للبشرية معنى الخوف الذي لا يشعرون به وأنه شعر به وهو مغترب فهذه الحالة حالة رفض صورته عدنان بنصه الشعري.

المصادر والمراجع:

١. ابن سينا (د.ت)، الإشارات، العراق، بغداد، مطبعة ابن خيون.
٢. ابن فارس، أبو الحسين أحمد (٩٧٩م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق هارون عبد السلام، لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة.
٣. ابن منظور، جمال الدين محمد (٩٥٥م) لسان العرب، لبنان، بيروت، دار صادر.
٤. إسماعيل، عز الدين (٩٧٤م) الشعر في إطار العصر الثوري، لبنان، بيروت، دار القلم.
٥. الأمانة، علي (٢٠٠٨م) «السؤال فضاء شعرياً.. ديوان حرائق التكوين أنموذجاً»، صحيفة المثقف، السنة الثانية، العدد ٥٧٠، ص ٢١.
٦. بلانش، جان (١٩٨٢م) معجم مصطلحات التحليل النفسي، ترجمة مصطفى حجازي، مصر، القاهرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
٧. بلاوي، رسول، علي خضري، آمنة أبگون (٢٠١٥م) «جماليات الأساليب البصرية في شعر عدنان الصائغ» مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، سمنان، نصف سنوية محكمة، العدد الواحد والعشرون، ربيع وصيف ١٣٩٤ هـ.ش/ص ٣٠.
٨. بهجات، عاطف السيد (٢٠١٠م) «انشطار الذات في ديوان (تأبط منفى) لعدنان الصائغ جدل الرؤية وآليات التشكيل»، مصر، مجلة كلية الآداب - جامعة بنها، صص ٢٤-٢٥.
٩. الحناشي، يوسف (١٩٨٤م) الرفض ومعانيه في شعر المتنبي، تونس، المطبعة الثقافية.
١٠. الشبلي، حربي نعيم محمد (٢٠٠٦م) «الرفض في شعر أبي العلاء المعري»، العراق، جامعة كربلاء، كلية التربية، المجلد الرابع، العدد الثالث، ص ١٧٨.
١١. الصائغ، عدنان. (٢٠٠٤م). الأعمال الشعرية. الطبعة الأولى. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

١٢. صدقي، حامد، سيد عدنان اشكوري، صغرى فلاحتي، صبري جليليان (٢٠١٥م) «دراسة صدى المقاومة في شعر عدنان الصائغ» مجلة إضاءات نقدية، السنة الخامسة، العدد التاسع عشر، ص ٥٩.
١٣. صليبيبا، جميل (١٩٧٩م) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، لبنان، بيروت، دارالكتاب اللبناني.
١٤. الضبع، مصطفى (٢٠٠٢م) «آليات الرفض في القصيدة العربية الحديثة» العراق، بغداد، دار كلية العلوم، ص ٢٠.
١٥. الطائي، رفل حسن طه، و حربي نعيم محمد الشلبي (د.ت) «الرفض في شعر الجواهري من أنماطه وتجلياته» مجلة أهل البيت، العراق، جامعة كربلاء، العدد العاشر، ص ١٥٦.
١٦. عيسى، عبداللطيف يوسف (٢٠١٠م) «أساليب الرفض في شعر ابن زيدون» مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية، العدد الثاني، المجلد الخامس، ص ٢.
١٧. فروم، إريك (١٩٧٢م) الخوف من الحرية، ترجمة خالد عبدالمنعم مجاهد، لبنان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
١٨. قباجة، محمد عبد المنعم (٢٠٠٨م) الغربة والحنين إلى الديار في الشعر العباسي الثاني (٢٣٢هـ - ٣٣٤هـ) قدمت هذه الرسالة لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها جامعة الخليل.
١٩. قطوس، بسام (١٩٩٨م) استراتيجيات القراءة التأصيل والإجراء النقدي، الأردن، إريد، دار الكندي.
٢٠. محمد حسين، فانتة (٢٠١١م) «تجليات الرفض في شعر فدوى طوقان» مجلة سرمن رأى، العراق، جامعة الموصل، كلية الآداب، المجلد السابع، السنة السابعة، العدد ٢٧، ص ١٩٠ و ١٨٤.
٢١. المساوي، عبد السلام (١٩٩٤م) البيانات الدالة في شعر أمل دنقل، سورية، اتحاد الكتاب العرب.
٢٢. مكايي، عبد الغفار (١٩٦٤م)، ألبيركامو - محاولة لدراسة فكره الفلسفي، مصر، القاهرة، دار المعارف.
٢٣. الهيتي، حميد مخلف (١٩٨٦م) الرفض في شعر شريف الرضي، مجلة آداب المستنصرية، العراق، الناصرية، ص ٦٢.
٢٤. ياسين، نضال إبراهيم (د.ت) «آليات الرفض والتمرد في شعر أحمد مطر»، مجلة أبحاث البصرة (العلوم الانسانية)، المجلد ٣٣، العدد ١، الجزء أ، السنة الثامنة، ص ١٢.

